# العلاقات الأوروبية-الأمريكية والتحالفات عبر الأطلسي

المدرس
طالب حسين حافظ(*)

**الملخص**

تبقى العلاقات بين طرفي الأطلسي المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وما نتج عنها من تحالفات عسكرية واقتصادية، هي العلاقات الحاكمة في مسار العلاقات الدولية.

وقد شهدت هذه العلاقة أو التحالف، تسيد الولايات المتحدة وتوجيهها لاتجاهات هذا التحالف الذي برز بصورة قوية ومؤثرة بعد الحرب العالمية الثانية في ظل الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي أو ما عرف بمرحلة الحرب الباردة، وخلافا للتوقعات الكثيرة، فان هذا التحالف أخذ مديات أكثر اتساعا واشد عنفا بعد انتهاء الحرب الباردة وبروز الولايات المتحدة الأمريكية قطبا أعظم منفردا في ظل النظام ( العالمي) الجديد، كما وأثرت المتغيرات الجديدة وغياب الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى مناهضة، على أداء حلف شمال الأطلسي (الناتو) الذي اتخذ اتجاهات (عدوانية) في مناطق كثيرة من العالم خارج نطاق عمله التقليدي السابق في أوروبا.

إن الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلال المعطيات الجديدة لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام (2001) وحروبها الواسعة في أفغانستان والعراق تسعى الى الإبقاء على سياسية الهيمنة والقطب الواحد مستغلة كل مجالات النفوذ المقاصة وفي المقدمة منها العلاقة المتميزة مع أوروبا الغربية.

**المقدمة :**

العلاقة بين اوربا الغربية والولايات المتحدة ، هي علاقة متميزة ، تختلف عن سائر العلاقات بين الأمم. ولذلك اسباب عدة، تعود الى نشأة الولايات المتحدة ، والعرق ، واللغة، والثقافة المشتركة .

لم يكن ذلك الحدث عادياً في مسيرة التاريخ الطويلة ، يوم انطلقت سفن الاكتشاف الاوربية باتجاه الغرب ، لتحط أخيراً على الاراضي الجديدة والذي ستصبح فيه الولايات المتحدة بعد مخاض طويل ، الجزء الاهم في هذا الاكتشاف .

وكانت لبريطانيا التي حظيت باستعمار تلك الارض في نصف الكرة الغربي الجديد ، بصماتها القوية ولا سيما في اللغة التي لا تزال هي اللغة السائدة في الولايات المتحدة .

كانت اوربا الغربية لا تزال في عنفوان قوتها عندما حصلت الولايات المتحدة على استقلالها ، وبسبب ما تتمتع به الولايات المتحدة من موقع ومساحة وثروات ، وتضحيات الرواد المؤسسين ، اضحت قوة لا يستهان

(*)مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد. Email: tallibhussain51@yahoo.com

بها ، نتج عنها ، انها استطاعت في عهد الرئيس " مونرو " انتهاج " سياسة العزلة " والتي فرضت فيها بالقوة ، عدم تدخل الدول الاوربية في شؤون الامريكيين .

بقيّ " مبدأ مونرو " الصادر في عام 1823 ، موضع تقيد تام من جانب الولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما كسرت اطار عزلتها الدبلوماسية التقليدية .

ومع ذلك فان الولايات المتحدة ، لم تنس اوربا الغربية ( الليبرالية ) في محنتها عندما ردت اليها ( الجميل) وانقذتها مرتين أثناء الحرب العالمية الاولى والثانية .

وفي حين خرجت اوربا ضعيفة منهكة بعد الحرب العالمية الثانية ، فأن الولايات المتحدة ، اضحت قوة عظمى تسيدت العالم مع الاتحاد السوفياتي طيلة الحرب الباردة والتي انتهت بتتويج الولايات المتحدة قوة عظمى منفردة في وضع دولي جديد يسميه البعض (النظام الدولي الجديد).

تهدف هذه الدراسة الى البحث في العلاقات بين طرفي الاطلسي والتحالفات القائمة بينهما ومستقبلها على ضوء المتغيرات الحاصلة .

**الحرب العالمية الثانية : أفول وظهور**

اعتادت الولايات المتحدة ومن خلال الحرب العالمية الاولى والثانية ، أن لا تدخل الحرب إلا بصورة متأخرة ، وبالتأكيد فانها تهدف من وراء ذلك الى جملة امور ، بينها أن تكون صاحبة القرار النهائي في توجهات السياسة .

وعندما خططت الولايات المتحدة لدخول الحرب العالمية الثانية ، كانت لها مقاصد وتوجهات وتقديرات ستراتيجية ، تم بناؤها على ما يأتي[1]:

1. ان الحرب التي تجري ، هي الفرصة السانحة للولايات المتحدة لتقفل صفحة الامبراطوريات القديمة ، وتفتح صفحة الامبراطورية الامريكية ، لانها الاجدر وحدها على فرض السلام ، بوصفها قلعة الغنى في العالم وذروة تقدمه .
2. وفيما يتعلق بالصراع الاوربي وهو دائرة الحرب الاساسية، فأن خطة الولايات المتحدة هي الحيلولة دون انتصار المانيا وايطاليا .
3. ومعنى ذلك ان بريطانيا وفرنسا ، لابد ان تخرجا من هذه الحرب سالمتين ، وفي الوقت نفسه غير قادرتين على الاحتفاظ بامبراطورياتهما الشاسعة.
4. من الانسب للولايات المتحدة ، أن تظل بعيدة عن ميادين القتال حتى آخر لحظة ، لكي تكون أفضل وأقدر الوارثين .

ودخلت الولايات المتحدة الحرب فعلاً في كانون أول 1941 ، بعد ان مالت الموازين بشدة الى دول المحور، إذ اتضح ما يأتي:

---
[1] محمد حسنين هيكل ، الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق ، ط/2 ، الشركة المصرية للنشر العربي والدرامي ، القاهرة ، 2003 ، ص ص 85 – 88 .

1. كانت الحرب في اوربا هي ميدان المجهود الاول للحلفاء ، ثم تجيء الحرب ضد اليابان.
2. في مقابل هذا التأجيل للمعركة مع اليابان ، فان الولايات المتحدة تحصل على وضع خاص في دول الكومنولث القريبة منها ، او من مسرح العمليات ضد اليابان عندما تجيء اللحظة ، وعلى هذا الاساس انتشرت القواعد الامريكية والتسهيلات وادوات ووسائل النفوذ السياسي الامريكي .

كانت الحرب العالمية الثانية التي خاضها الحلفاء ضد المحور وانتصروا فيها ، هي المحطة الحاسمة التي اسست النفوذ الامريكي في اوروبا والعالم ، فالولايات المتحدة لم تستطع ان تتخلى عن ارثها التاريخي في التعامل مع الحلفاء ، ذلك الارث الذي يستند على منطق الاستفراد بالغنيمة .

كانت نظرة الولايات المتحدة الى اوروبا ، تحمل كل معاني الاستعلاء . فالرئيس الامريكي " روزفلت " لايستطيع أن يتصور فرنسا بعد الحرب ، الا دولة من الدول المحررة بجهود غيرها . وعندما ظهرت طلائع انتصار الحلفاء ، وتقرر عقد مؤتمر " يالطا " ، فان " روزفلت " رفض دعوة فرنسا للمشاركة فيه ، قائلاً: "أن فرنسا لن تكون طرفاً في بحث امور مابعد الحرب ، وانما سوف تكون موضوعاً من موضوعات ما بعد الحرب[2].

كانت تلك خطوة امريكية باتجاه السيطرة على املاك فرنسا في شمال افريقيا والشرق الاوسط وجنوب شرق آسيا . وهي خطوة في ذلك الصراع المستتر بين الحلفاء ، والذي أدى لاحقاً الى موقف ( ديغول ) المعروف تجاه حلف الناتو .

ولم يكن حال بريطانيا بأحسن من ذلك ، فان الرئيس الامريكي " روزفلت " كان على عجلة من امره ، وأراد ان يجرد بريطانيا من ممتلكاتها اثناء الحرب وليس بعدها . فقد كتب في توجيه له في العام 1943 ، بأن الشرق الاوسط منطقة مصالح حيوية للولايات المتحدة ، ولاسيما الموارد الاستراتيجية والاقتصادية .

ولا يخفى بأي حال من الاحوال ، أهمية منطقة الشرق الاوسط بالنسبة الى بريطانيا آنذاك ، بوصفها منطقة ذات اهمية حيوية لها في المقام الأول . ولكن ظروف الحرب القاسية وتبعاتها لها استحقاقاتها التي لايمكن اغفالها. وهكذا كان مؤتمر برمودا (آذار 1957) الذي جمع الرئيس الامريكي ( ايزنهاور) ورئيس وزراء بريطانيا ( هارولد ماكميلان)، ايذاناً بغياب الشمس عن الامبراطورية البريطانية، ظهرت فيه امبراطورية قديمة تسلم ممتلكاتها لامبراطورية جديدة .

**مشروع مارشال للانعاش الاوروبي :**

جاء الاعلان عن مشروع مارشال للانعاش الاوروبي من جانب حكومة الولايات المتحدة في منتصف العام 1947 ، كرد فعل للاحوال الاقتصادية القاسية التي عاشتها اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية .

وزاد من حدة تلك الضائقة الاقتصادية، إيقاف الولايات المتحدة العمل بقانون الاعارة والتأجير الذي ساعدت به اوروبا اثناء الحرب . وضاعف من سوء الاوضاع ، ان بريطانيا كانت قد استنزفت اقتصادياً بدرجة لم تعد معها قادرة على مساعدة الدول الاوروبية . وقد تأكد ذلك فعلاً عندما اعلنت رسمياً عن وقف

---

[2] المصدر نفسه، ص91.

مساعداتها لليونان ، مما دفع الولايات المتحدة الى الاعلان عن مبدأ ترومان الذي استهدف مساعدة اليونان وتركيا على اجتياز ازمتهما الاقتصادية، ودعم مقاومتهما في مواجهة التهديد الشيوعي المتزايد ضدهما .

وعلى الرغم من الواجهة الاقتصادية لمشروع مارشال، فانه لم يكن له ابعاد اقتصادية وسياسية وأمنية فحسب، بل هدفت من خلاله ادارة الرئيس الامريكي (روزفلت) الى التربع على قمة المنظومة الرأسمالية واعادة صياغة نظام النقد الدولي، على وفق مصالحها الحيوية[3].

لقد كان لمشروع مارشال أبعاد استراتيجية كبيرة، لأن الولايات المتحدة حاولت من البداية ترجمتها الى اطر مؤسسية تنظيمية عسكرية، استطاعت من خلالها فرض ملفات استراتيجيتها الجديدة وانجازها، اذ كان الخطر الشيوعي السوفياتي من اقوى الاخطار وأبرز التهديدات التي حاولت الولايات المتحدة غرسها في عقلية القيادات الاوروبية. واحتلت هذه الفكرة مساحة كبيرة في مدركاتها الأمنية، ولاسيما لدى الدول التي خرجت منهكة من الحرب اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً ، وليس بمقدورها مجاراة الاوضاع الدولية الجديدة ، أو الوقوف بوجه التحديات التي فرضها النصف الثاني من القرن العشرين والتي لم تعهدها من قبل ، ليس فقط ضمن مكانتها الدولية، وانما في مستعمراتها أيضاً . وزاد في الأمر ارتباكاً ، ان هذه الدول ، وجدت نفسها بعد الحرب ازاء بروز قوة عظمى تحصنت بقوتها العسكرية والنووية والايديولوجية ، ولا يفصلها عن خطوط تماسها المباشرة الا جدار برلين[4].

لقد صادف اعلان مشروع مارشال ، استجابة قوية في معظم الدول الاوروبية . وتلا ذلك عقد مؤتمر ثلاثي في باريس ، لمناقشة الخطوط العريضة للبرنامج الذي يمكن ان تتقدم به اوروبا الى الولايات المتحدة . وقد ضم هذا المؤتمر وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي . وقد تحمست بريطانيا لفكرة ضم الاتحاد السوفياتي الى مشاريع الانعاش الاوروبي . الا ان السوفيات ، أبدوا اعتراضهم على الترتيبات المقترحة ، وكانت وجهة نظرهم ، ان مثل هذا البرنامج المشترك بين الولايات المتحدة واوروبا يشتمل على تدخل غير مقبول في امور هي من صميم السيادة الوطنية للدول الاطراف فيه . الا ان السبب الحقيقي وراء اعتراض السوفيات ، كان يكمن في تخوفهم من أن يؤدي اشراك دول اوروبا الشرقية في هذا البرنامج الى مضاعفة النفوذ الغربي فيها، ومن ثم اضعاف ارتباطها بالاتحاد السوفياتي .

**حلف الناتو والمتغيرات الجديدة :**

كانت التحولات الكبرى التي طرأت على الخريطة الجيوسياسية لاوروبا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبروز الاتحاد السوفياتي قوة عظمى على الساحة الجديدة ، ومعه دول اوروبا الشرقية ضمن ايديولوجية جديدة متناقضة مع مفاهيم الدول الغربية وقيمها ، العامل المهم وراء تأسيس حلف شمال الاطلسي ( الناتو ) في العام 1949 .

---

[3] رمزي زكي، هل انتهت قيادة امريكا للمنظومة الرأسمالية العالمية، المستقبل العربي، العدد **138**، آب **1990**، ص **10** .

[4] **د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، تأثير الخلافات الامريكية – الاوروبية على قضايا الأمة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط/1 ، بيروت ، 2007 ، ص 82.**

شكل تأسيس الحلف ومشاركة الولايات المتحدة فيه ، تغييراً دراماتيكياً في السياسة الخارجية الامريكية، اذ اصبح بامكان الولايات المتحدة ولأول مرة في زمن السلم، عقد احلاف عسكرية خارج القارة الامريكية.

وعلى الرغم من ان حلف الناتو ، قد انشأ اساساً ليعطي ضماناً لاوروبا ضد الخطر السوفياتي الذي كان يلوح في الافق، فان تأثيره السياسي في اوروبا الغربية ، كان لتعزيز المصالحة مع قوى المحور السابقة (المانيا وايطاليا)، في وقت يدعم فيه قبولاً دائماً لاعتماد متبادل عبر الاطلسي، كما يأتي في الأهمية أيضاً، الانهاء الصعب للعداء الفرنسي–الالماني.

لقد تميزت حقبة الحرب الباردة ، بالنسبة لحلف شمال الاطلسي ، بمأسسة ثلاثة تحولات بارزة في الشؤون الدولية[5]:

1. انتهاء ( الحرب الاهلية ) في الغرب الاوروبي والتي دامت قروناً ، لصالح هيمنة عامرة للمحيط .
2. التزام الولايات المتحدة بالدفاع عن اوروبا ضد التهديد السوفياتي .
3. الانهاء السلمي للحرب الباردة التي وضعت حداً للانقسام الجيوسياسي في اوروبا ، واوجدت الشروط المسبقة لاتحاد أوروبي ديمقراطي أوسع .

منذ اللحظة التي تأسس فيها الحلف ، فانه لم يتحول الى الذراع العسكرية التي استطاعت من خلالها واشنطن ، الهيمنة على اوروبا ووضعها تحت حماية مظلتها النووية فحسب ، وانما جعلت من مشكلة الدفاع والأمن الاوروبيين ، مشكلة اطلسية ( امريكية ) لايمكن تجاوزها أو ارساء اي اطار اوروبي جديد ، يزيح حلف الناتو الى الوراء .

وعلى خلاف التكهنات والتحليلات التي تصاعدت بعد انتهاء الحرب الباردة ، وتفكك الاتحاد السوفياتي ، وزوال حلف وارشو ، والتي كانت تقول بانتهاء دور حلف الناتو بوصفه من مخلفات تلك الحرب ، الا ان واقع النظام الدولي ( الجديد ) وتفرد الولايات المتحدة بدور القطب الاعظم ، أعطت لحلف الناتو ، دوراً جديداً من حيث المهام والحجم .

لم تمض سوى أشهر على انتهاء الحرب الباردة ، حتى كانت وزارة الدفاع الامريكية ، قد أعدت دراسة خاصة تحدد ملامح فرض الدور الامريكي المنفرد على العالم واسسه، من خلال خمس مهام اساسية، يجب ان تقوم بها الولايات المتحدة لضمان زعامتها، وتحقيق الخيارات السياسية لاستراتيجيتها الدولية. كان هذا التقرير قد ركز على[6]:

1. منع اليابان واوروبا من ان تتحولا الى قوتين عسكريتين كبيرتين منافستين عالمياً للولايات المتحدة .
2. ردع المنافسين المحتملين عن لعب دور اقليمي .
3. منع التكاثر النووي .

---

[5] زبغنيو بريجنسكي ، أجندة للناتو نحو شبكة أمنية عالمية ، دورية فورين أفيرز ، أيلول – تشرين أول ، **2009** .

[6] محمّد السعيد ادريس ، النظام الاقليمي للخليج العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، **2000** ، ص ص **370 – 371** .

4. منع استمرار روسيا مصدراً للتهديد النووي للولايات المتحدة .

5. وهي النقطة المركزية في الدراسة ، والتي تؤكد على اعاقة تشكيل تحالف أمني وعسكري اوروبي مستقل ، لأن حلفاً كهذا ، سيؤدي الى تقويض حلف الناتو الذي يعد بمثابة أداة لاستمرار الهيمنة الامريكية على اوروبا .

وبهذا فان استراتيجية توسع حلف الناتو، يجب أن تسير على وفق سياقات وتصورات امريكية، تؤكد من خلالها واشنطن قيادتها للعالم. وما زالت القوة الامريكية وصواريخها النووية التي تحتاجها اوروبا لحماية امنها واستقرارها ازاء مصادر التهديد الجديدة وأقوى الازمات ، تنسجم مع مايعزز الانفراد الامريكي بسلطة القرار الدولي ، وتهميش أي دور للقوى الاقليمية والدولية الصاعدة ، كما هو دور الأمم المتحدة .

وتجدر الاشارة الى قمة حلف الناتو ( واشنطن 1999 ) ، اذ اتخذت قرارات غيرت الرؤية الأمنية التي تم تبنيها خلال حقبة الحرب الباردة ، فأصبح من حق الحلف ، التدخل خارج محيطه الجغرافي ، فكان التدخل في افغانستان والعراق .

كان تدخل حلف الناتو في يوغسلافيا بقيادة الولايات المتحدة والذي يمثل باكورة مهامه الجديدة ، يحمل في طياته اكثر من رسالة امريكية[7]:

1. الاولى موجهة الى الدول الاوروبية الاعضاء في الحلف ، بأنه لاجدوى من معارضتها للمفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف ، وان الولايات المتحدة هي صاحبة الكلمة العليا في اعادة ترتيب القواعد التي تحكم العلاقات الدولية .

2. الثانية موجهة الى الدول الاوروبية غير الاعضاء في الحلف ، وفحواها ان استقرارها ورفاهيتها يعتمد بالدرجة الاولى على ماتتخذه الولايات المتحدة من قرارات .

3. الثالثة موجهة الى روسيا، بأن تتوقف عن معارضتها لتوسيع الحلف ومقاومة مهامه الجديدة.

كانت سنوات الحرب الباردة قد أخفت الكثير من الخلافات الاوروبية – الامريكية في مايتعلق بوجود الحلف ، الا نهاية تلك الحرب أدت الى تفجر هذه الخلافات وظهورها الى سطح الاحداث ، والنقاشات الممتدة حول مستقبل الحلف ، ونطاق عملياته العسكرية وتوسعه نحو الشرق الاوروبي ، ومناطق النفوذ التقليدية الروسية ، فضلاً عن المهمات الجديدة في اطار المفهوم الاستراتيجي للحلف بعد قمة واشنطن / 1999 ، وما استجد من أحداث ، ودور الحلف في الازمات الناشئة ، اذ ان مسألة التفويض بالدور الذي يجب أن يقوم به الحلف ، قد اوجدت شرخاً بين ضفتي الاطلسي . فالامريكيون يرغبون بحرية كبيرة لعمل الناتو حيث المصالح الامريكية الحيوية ، في حين يعير الاوروبيون اهتماماً كبيراً لدور الأمم المتحدة . وقد تزعمت فرنسا ذلك الاتجاه، ولاسيما في استقبال الاعضاء الجدد وتقاسم الزعامة .

أما المانيا فقد تطابقت رؤيتها مع ما تراه باريس من ضرورة للأمن الجماعي المشترك مع الاحتفاظ بمكانة حلف الناتو . ولكن هذه الآلية واجهت معارضة من قبل الدول الاوروبية الاخرى المتفقة في طروحاتها

[7] عماد جاد،حلف الاطلنطي والحرب على البلقان،مجلة السياسة الدولية،العدد (129)،القاهرة،1999،ص 104.

مع السياسة الامريكية مثل هولندا وبريطانيا . واذا كانت من مهمات حلف الناتو التقليدية المحافظة على التوازن السياسي في اوروبا بعد الحرب، والاحتفاظ ايضاً بتوازن نسبي بين القوى الاوروبية الغربية ، واحتواء المانيا الموحدة، فان المهمة بالأساس للحلف في مطلع القرن الحادي والعشرين هي السيطرة على قوسي الازمات الشمالي والجنوبي ، وعدم السماح بخلق قوة اوروبية مستقلة حسب ما تدعو اليه فرنسا والمانيا ، وضرورة ان يرتبط الأمن الاوروبي بالأمن الامريكي. ان التوسع في مهام الحلف، يمكن ان يستوعب الطموحات الالمانية بما لايثير حفيظة الدول الاوروبية الاخرى[8].

أما بريطانيا التي ترى في أي تقارب الماني – فرنسي في مسائل الأمن والدفاع ، انه يجري على حسابها واستبعاداً للمظلة الأمنية والعسكرية الامريكية، وتهميشاً لدور حلف الناتو، فقد ظلت أمينة لوفائها ان لم نقل لتبعيتها للولايات المتحدة. فمنذ انضمامها الى المجموعة الاوروبيةفي عام 1972، تحول الصوت البريطاني، ومن خلال التصويت الجماعي، الى (فيتو) على كل قرار اوروبي يحاول ان يؤكد هوية اوروبية متميزة ومستقلة في الأمن والدفاع .

ان بريطانيا لم تتوقف منذ الحرب العالمية الثانية عن الاعتقاد بأن التحالف مع الولايات المتحدة ، هو التحالف الكبير والذي يجب أن يكون اساس سياستها الخارجية ، واندماج قواتها داخل منظمة حلف شمال الاطلسي . وبهذا فان ما تسعى اليه بريطانيا ، ولاسيما في اطار الاتحاد الاوروبي ، هو أن لايكون هناك دفاع اوروبي اذا كان لايطابق متطلبات مبادىء حلف الناتو وتوجهاته واستراتيجياته .

وهذا الارتباط أو التبعية للسياسة البريطانية للولايات المتحدة يستند بالتأكيد الى حقائق تاريخية وثقافية عميقة ، تجلت بصورة واضحة في حرب الكويت / 1991 والحرب الامريكية على العراق عام 2003 .

وبقدر ما انغمست بريطانيا في الشأن الاوروبي ، وعمقت ارتباطها السياسي والاقتصادي به، على الرغم من عدم التزامها بالعملة الاوروبية (اليورو)، الا انها متمسكة في سياستها الخارجية، بمبادىء ثابتة تحكم دبلوماسيتها ومواقفها الدولية والاقليمية ، وهي[9]:

1. ان التحالف البريطاني – الامريكي اساس دعامة الأمن الغربي الرأسمالي .
2. ان حلف شمال الاطلسي هو الاطار الأمني والعسكري للأمن الاوروبي .
3. ان القوة العسكرية الاوروبية ( المستقلة ) لايمكن ان تكون بديلاً عن الولايات المتحدة وحلف الناتو .
4. ان توسع حلف الناتو نحو الشرق ، والقيام بعمليات خارج نطاق مجاله التقليدي ، ينسجم مع حجم التحديات أو التهديدات التي تواجه العالم الغربي الرأسمالي ومصالحه الحيوية .
5. ان الفراغ الأمني والاستراتيجي الذي خلفه اختفاء الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي ، لايمكن سده الا بالوجود العسكري والنووي الامريكي وحلف شمال الاطلسي .

[8] **عبيدة عبد الله الونداوي ، الصين وروسيا وحلف شمال الاطلسي السياسة الدولية ، العدد (132) ، القاهرة ، 1998 ، ص 114 .**

[9] **د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، المصدر السابق ، ص 95 .**

ويبدو ان الدول الاوروبية الاخرى ، ولاسباب تتعلق بوضعها السياسي والعسكري وما عانته من تداعيات توازن القوى الاوروبية الكبرى على مدى العقود الماضية ، سرعان مارمت بنفسها في احضان حلف شمال الاطلسي بوصفه تابعاً للولايات المتحدة . وهناك بعض الدول الاوروبية مثل هولندا والدنمارك واسبانيا ، متمسكة بعضوية حلف الناتو ، اكثر من عضوية الاتحاد الاوروبي ولاسيما عندما تحكمها احزاب اليمين . في حين أن دول أوروبية أخرى مثل ايطاليا والبرتغال ، تقف موقفاً متشابهاً من ناحية التوسع والالتزام بروابط قوية في العلاقة بين ضفتي الاطلسي[10] .

**الموقف من العراق** :

كانت ازمة الكويت 1990 /1991 عملاً من أعمال الولايات المتحدة ، اذ ان خلفيات الازمة ، وكيفية اندلاعها لم تكن الا من صنع السياسة الامريكية التي وجدت في العراق ، وبأعتراف وزير الخارجية الامريكي آنذاك (جيمس بيكر) ، حجر عثرة في طريق السلام في الشرق الاوسط وتحقيق مصالح الولايات المتحدة[11] .

لقد كانت الولايات المتحدة حاضرة في كل ملابسات الحرب العراقية – الايرانية ، وأزمة 2 آب 1990 ، ونسجت خيوط كل مداخلها ومخارجها بالشكل الذي جعلها الفاعل الدولي الرئيس المؤثر في استمرارها لحسابات واعتبارات وضعتها السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، في سلم اولياتها ، ولاسيما بعد صعود اليمين المحافظ الى رئاسة البيت الابيض بانتخاب الرئيس رونالد ريغان .

وفي الواقع ان المتتبع للهجة الخطاب السياسي الامريكي منذ الساعات الاولى لاندلا ع الأزمة ، يستنتج من دون تفكير عميق وعودة الى الماضي ، ان النوايا الامريكية واضحة جداً ، وان قطار الحرب يجري في سرعته القصوى من دون توقف حتى نهايته[12] .

وان استبعاد الحل السلمي كان المسعى الذي استنفرت له ادارة الرئيس بوش كل امكانياتها العسكرية ، المالية ، والدبيلوماسية ، والاستخبارية ، لأن الحل السلمي لاينسجم مع ماوضع من مخطط استراتيجي تكمن في اولوياته ، فرض الهيمنة الامريكية على منطقة الخليج العربي والنفط الذي فيها . وهذا ما تمخض عنه الاجتماع الذي عقده مجلس الأمن القومي الامريكي في الرابع من آب 1990 في كامب ديفيد ، اذ قرر انتهاج سياسة دبلوماسية القوة ضد العراق على الشكل الآتي : العزل السياسي للعراق ، الضغوط الدبلوماسية ، الضغوط الاقتصادية ، وأخيراً التحرك نحو العمل العسكري[13] .

[10] ناظم عبد الواحد الجاسور ، الناتو في عامه الخمسين : جرد حساب والآفاق المستقبلية ، مركز الدراسات الدولية، سلسلة دراسات مترجمة ، العدد (9) ، جامعة بغداد ، بغداد ، ص ص 4 – 5 .

[11] جيمس بيكر ، سياسة الدبلوماسية ، ترجمة حمدي شرشر ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1999 ، ص 382.

[12] نورد دايفيس ، درع الصحراء وفضيحة النظام الدولي الجديد ، ترجمة بشير يوسف البرغوثي ، عمان ، دار الدليل الوطني للنشر 1991 ، ص 85 .

[13] جيمس بيكر ، المصدر السابق ، ص 406 .

وعلى الصعيد الاوروبي ، وعلى الرغم من بيانات الشجب والتنديد التي صدرت من كل العواصم الاوروبية تنديداً بغزو العراق للكويت الذي عد انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي ، الا ان اوروبا كانت منشغلة تماماً بتداعيات المتغيرات التي جرت في اوروبا الشرقية ، والخطوات المتسارعة للوحدة الالمانية .

وما بين انهيار الكتلة الشرقية وتداعياته ، وأزمة احتلال الكويت ، وجدت اوروبا نفسها وسط خيارات واحتمالات لايمكن التكهن بمستقبلها ، لكنها مضطرة لكي تتخذ الموقف ، وتنتهج السياسات التي تتناسب مع حجمها السياسي والاقتصادي والمالي ، كما وتؤكد حضورها الدولي كفاعل جديد في محيط العلاقات الدولية الذي يشهد تغيرات جذرية مع انتهاء الحرب الباردة ، وتفكك حلف وارسو .

ومع ماتعرفه الولايات المتحدة من سياسة فرنسا وكيف يتعامل الفرنسيون مع تلك الازمة ، ومن خلال سياسة خارجية نادراً ما تنساق خلف ماتعرضه الولايات المتحدة ، الا ان الولايات المتحدة اصيبت بخيبة أمل كبيرة ازاء المواقف الالمانية المترددة ، ليس فقط بما يفرضه الدستور الالماني على مسألة ارسال قوات المانية الى خارج حدودها ، وانما الى نظرة برلين نحو باريس قبل ان تتخذ أي موقف، الامر الذي جعل وزير خارجية الولايات المتحدة (جيمس بيكر) يصف هذا التردد بانه (مثير لحيرة كبيرة).

واذا كانت برلين قد تحججت بالخطر الدستوري في الذهاب خارج حدودها، واكتفت بالدعم المالي واللوجستي للحشد العسكري الامريكي، فان لبريطانيا موقفها الواضح والصريح، لا بل المرشد لما يجب ان تقوم به الولايات المتحدة في ادارتها للازمة سياسياً وقانونياً وحتى عسكرياً ، على الرغم من ان بوش الأب كان قد اتخذ قراره منذ الساعات الاولى للأزمة ، باسعمال القوة المسلحة[14].

وما بين التردد الالماني والاندفاع البريطاني في دق طبول الحرب والحسابات السياسية الداخلية التي اثقلت حكومة تاتشر، وما تعد مناطق نفوذ بريطانية تقليدية لها في الخليج العربي، يأتي الموقف الفرنسي في وضع لم يستطيع أن يبقى فيه متفرجا في ظل وضع دولي جديد في توازن قواه ومصالحه لقد بدت باريس في موقف حرج فقد كانت تريد التسليم بحقائق الاشياء ضمن المعسكر الغربي ،وفي الوقت نفسه وبدوافع المصلحة تريد الحفاظ على علاقتها مع بغداد ،كما وهي غير قادرة على تجاهل مصالح لها مع دول النفط الغنية في الخليج العربي[15] .

وعند اندلاع الحرب على العراق في كانون الثاني 1991 ساهمت كل دولة من دول الاتحاد الاوربي فيها ضمن الامكانيات التي تستطيع تقديمها ، عدا اسكتلندا التي امتنعت عن تقديم أي شئ سوى قرار أدانتها للغزو.

كانت بريطانيا أكثر الدول الاوربية أندفاعا نحو الحرب ومشاركة فيها ، فقد عبأت كل أمكانياتها العسكرية ووضعت تحت تصرف القوات الامريكية كل قواعدها العسكرية فضلا عن مشاركتها الفعالة في القتال

[14] محمد حسنين هيكل، حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1992، ص 26 .
[15] المصدر نفسه، ص36.

الجوي والبري والبحري . أما فرنسا التي منعت طائرات ( B52 ) من التحليق في اجوائها ، فقد اشتركت بقوة برية اندفعت عميقاً في الاراضي العراقية ، فضلاً عن اشتراكها في العمليات الجوية والبحرية ، الا ان لها موقفها من العمليات العسكرية ومن التطبيق الحرفي للقرار 1990/678 ، وهو ما تجلى في الاستقالة التي قدمها وزير الدفاع الفرنسي ( جان بيير شوفنمان ) ، اذ ان الدول الاوروبية ( عدا بريطانيا ) كانت شبه متفقة على ان المشاركة تكون ضمن حدود تنفيذ القرار المذكور ، ومن دون تجاوز بنوده أو الذهاب الى ماتهدف اليه الولايات المتحدة في ادارتها للازمة ، اذ سعت الى تدمير الاقتصاد العراقي ، وتدمير القدرات العسكرية والاستراتيجية العراقية[16] .

لقد كانت اوروبا الخاسر في تلك الحرب ، لانها الشريك التجاري الأول للعراق ، ولاسيما فرنسا والمانيا وجاء العدوان الامريكي على العراق المتمثل بغزوه واحتلاله في العام 2003 ، ليكشف ان هناك موقفاً أوروبياً قد تميز خلال الاشهر التي سبقت الحرب ، عبر عن كل قوته في مايستطيع عمله من اجل الحيلولة دون اندلاعها ، وانتهاج منطق الحل السلمي من خلال جهود دبلوماسية مكثفة ترعاها الأمم المتحدة .

هذا الموقف المتعارض مع السياسة الامريكية لم يأت نتيجة لادراك اوروبا بأن مصالحها الاستراتيجية الشرق – اوسطية قد اهتزت ، ولاسيما في العراق ، وانما من خلال الرؤية الاوروبية التي تبلورت على مدى اكثر من عقد بعد انتهاء الحرب الباردة وطي صفحاتها . وهذه الرؤية قد تحددت فيما يأتي[17] :

1. ان العالم الراهن لايمكن ان يسوده الأمن والاستقرار الا من خلال ترسيخ ديمقراطية العلاقات الدولية، والتخلي عن سياسات الاكراه والهيمنة .
2. ان سياسة محاربة الارهاب، لايمكن تحقيقها بالعمليات العسكرية والأمنية ، ولكن بالعدالة والقانون.
3. ان اوروبا ترفض عسكرة العلاقات الدولية ، ذلك انها ترى ان الاتحاد الاوروبي أوجد حالاً من الاستقرار في اوروبا ، وان الحرب على العراق ستجر الى سوابق خطيرة ، ليس في الشرق الاوسط فحسب وانما في العالم كله، حيث التوترات والنزاعات العرقية والطائفية .
4. ان اوروبا ترى ضرورة بناء عالم متعدد الاقطاب ، تؤدي فيه الأمم المتحدة بعداً حيوياً وفاعلاً في تسوية الازمات والقضايا الشائكة ، من خلال دبلوماسية استباقية بدلاً من الحرب الوقائية التي لا تؤدي الا الى زعزعة العلاقات الدولية ، واشاعة الفوضى ، وانهيار سلطة القانون الدولي ، وتهميش دور الأمم المتحدة .

وفي الواقع ، فانه على الرغم من ان احداث 11 أيلول 2001 قد فتحت الابواب على تحولات جيوسياسية ، وشكلت منعطفاً حاسماً وجوهرياً في تاريخ الولايات المتحدة وفي تاريخ العلاقات الدولية، وجمدت الى حين الخلافات الامريكية – الاوروبية، الا ان ماجرى بعد ذلك سمح بعودة ملفات الخلافات الاوروبية الى طاولة النقاش بين ضفتي الاطلسي، بدءاً من الحرب التجارية، والمنافسة بين الدولار واليورو وانبرى الاوروبيون يوجهون سهام نقدهم الى السياسة الامريكية والخطاب السياسي الامريكي .

---

[16] محمّد السعيد ادريس، النظام الاقليمي للخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، **2000**، ص:**523**.

[17] د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، تأثير الخلافات الامريكية – الاوروبية على قضايا الأمة العربية ، المصدر السابق ، ص ص **15 – 16** .

فلقد أدت السياسة الاحادية الامريكية ، بحسب ما رآه الاوروبيون ، الى انهاء الأمن المتبادل ( الموحد ) الذي كان قائماً بين ضفتي الاطلسي ابان الحرب الباردة ، اذ قامت الولايات المتحدة بدلاً من ذلك بتعريف أمنها القومي بصورة احادية ، من خلال التعاون مع الدول التي تؤيد وتدعم سياساتها . وقامت ( بشق ) وحدة صف الاتحاد الاوروبي ، من خلال تحريض الدول الاوروبية الجديدة على محور باريس – برلين . وقد طالبت كل من فرنسا والمانيا ادارة الرئيس بوش الابن ، بمراعاة عدم الانسياق وراء المقاربة الاحادية الجانب لحل مشكلات العالم ، وحذرتا من ان الوسائل العسكرية وحدها غير قادرة على تسوية المشكلات القائمة ، الأمر الذي حدا بواشنطن وعلى لسان وزير دفاعها " دونالد رامسفيلد " الى وصف تلك التصريحات بانها معبرة عن ( اوروبا العجوز ) التي لاتنظر الى العالم القائم بمنظار جديد .

لقد اثارت تلك الحرب نقاشاً واسعاً فيما يتعلق بشرعيتها الدولية ، أو خرقها ميثاق الأمم المتحدة ، أو انتهاكها قواعد القانون الدولي ، اذ لم يتم خلال عشرين يوماً اسقاط النظام السياسي في العراق ، فقط ، بل أجبرت الولايات المتحدة المجتمع الدولي والأمم المتحدة على الاعتراف بهذا الاحتلال وما يترتب عليه من اجراءات سياسية وقانونية في اطار القانون الدولي .

لم تستطع الولايات المتحدة انتزاع قرار من مجلس الأمن يفوضها الشرعية في شن الحرب على العراق ، وسحبت مشروع قرارها بسبب التهديد الفرنسي باستخدام حق النقض ، فضلاً عن المواقف التي اتخذتها روسيا والصين والمانيا . فلقد اكدت المانيا قبل شن الحرب ، ان اعتزام الولايات المتحدة شن الحرب على العراق ، هو خرق للقوانين الدولية ، مايجعل هذا العمل العسكري الامريكي سابقة في حد ذاتها في تاريخ العلاقات الدولية .

ومما زاد الأمر تعقيداً وأثار انتقاد الاوروبيين للسياسة الامريكية ، هو انها عملت منذ 11 أيلول 2001 على تغليب الأمن الامريكي على الأمن الجماعي الدولي ، دون تبرير منطقي أو قانوني ، ولاسيما بعد تصريح الرئيس بوش الابن أن " بلاده لاتحتاج الى موافقة الآخرين ، عندما تتعلق المسألة بالأمن وحماية الشعب الامريكي " .

وبقدر ما أجهضت اوروبا اية سياسة امريكية ناورت لاجبار مجلس الأمن على استصدار قرار ثان يخولها شرعياً شن الحرب ، فانها عملت على عدم كسب امريكا نتائج تلك الحرب ، بوصفها قوات محررة . الأمر الذي جعل ادارة بوش تفكر في كيفية معاقبة الذين وقفوا في وجهها ، ولاسيما فرنسا والمانيا . ولكن هذه السياسة القصيرة النظر ، سرعان ما اصطدمت بواقع العراق المر ، الأمر الذي جعل بوش يدعو الى فتح صفحة جديدة في العلاقات مع اوروبا .

وبلا شك فان المعارضة الاوروبية للحرب ، لم تكن المعارضة التي يمكن أن تبرز منافساً للولايات المتحدة ، كما كان يحصل للدور الذي يضطلع به الاتحاد السوفياتي السابق .

**أحداث 11 أيلول 2001 :**

لم تكن ادارة بوش الابن بحاجة الى احداث مثل 11 أيلول 2001 لكي تكشف عن خططها الاستراتيجية في بناء " القرن الامريكي الجديد " على وفق التصورات والافكار التي اختمرت في عقول التيار المحافظ في الحزب الجمهوري ومفكريه[18].

كانت العلاقات الدولية ومنذ القدم ، تتميز بالتنافس والصراع ، الا ان ماحصل بعد 11 أيلول 2001 ، أثر على سمة جديدة ، هي هيمنة القطب الواحد ، وان سياسة القوة والتهديد باستخدامها من خلال تبني القوانين الوطنية الخاصة التي شرعها الكونجرس الامريكي بوصفها قرارات دولية .

لقد فتحت احداث 11 أيلول الباب على تحولات جيو- سياسية ، تؤثر في ميزان التوازن الاستراتيجي ، وبشكل خاص في استقلالية القرار السياسي الاوروبي ، وأبعدت ، ولو مؤقتاً ، الخلافات الامريكية – الاوروبية التي برزت في اكثر من قضية اقليمية دولية . ولكن هذا التضامن سرعان ما تبخر وعادت من جديد الرؤية الاوروبية الواضحة لتقّوم ماحصل في11 أيلول ، بالشكل الذي يتناقض مع تلك الرؤية التي صاغتها الولايات المتحدة لتبرير سياستها الجديدة في اطار ( مكافحة الارهاب ) و ( الدول المارقة) وتحديداً في الوطن العربي والاسلامي حيث الازمات والمشكلات والحروب . الأمر الذي نظر اليه الاوروبيون نظرة تخوف وقلق كبير عما ستؤول اليه تلك السياسة الامريكية الجديدة التي يقف خلفها مجموعة معروفة بافكارها وتوجهاتها السياسية ، والجذور التي يستمد منها طروحاته[19].

ان القراءة الاولية لدلالات التضامن الاوروبي مع الولايات المتحدة في احداث 11 أيلول ، تندرج في اطار الالتزام الاوروبي من ميثاق حلف شمال الاطلسي ، ولكن اوروبا غير مستعدة للذهاب مع الولايات المتحدة في حربها المفتوحة على الارهاب من دون قرار صادر عن الشرعية الدولية .

لم تمنع مظاهر التضامن التي اجتاحت اوروبا في التعبير عن وقوفها الى جانب الشعب الامريكي، من انتقاد الخطاب السياسي الامريكي. فالنظرة التي طرحتها الولايات المتحدة ازاء مشكلة الارهاب القائمة على عبارة"من لم يكن معنا فهو ضدنا"، واجهت العديد من الانتقادات في الساحة الاوروبية . اذ اكدت فرنسا ضرورة عدم اختزال مشكلات العالم بمكافحة الارهاب وحدها، وعدم اللجوء الى الوسائل العسكرية وحدها من اجل تسوية هذه المشكلات المعلقة ، ودعت الى مقاربة متعددة الجوانب وعدم استسلام الادارة الامريكية لاغراء القوة الوحيدة. وفي مايتعلق بخطاب الاتحاد الذي جاء فيه (بوش الابن) بمفاهيم جديدة في العلاقات الدولية، فقد أثار هو الآخر مناقشات حادة في الاوساط السياسية الاوروبية . وقد وصف هذا الخطاب، بانه يعبر عن النشوة الامبراطورية لبوش، الذي مازال يبحث عن نصر يقدمه للشعب الامريكي على عتبة القرن الحادي والعشرين[20].

**الأمن والمؤسسات الأورو – أطلسية :**

---

**[18] احمد يوسف القرعي ، مجلس الأمن ومأزق الأمن الجماعي الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (153)، القاهرة ، تموز 2003 ، ص 44 .**

**[19] د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، المصدر السابق ، ص 252 .**

**[20] الياس حنا، النظام الدولي والخيارات الامريكية الجديدة، دورية شؤون الاوسط، العدد (105) ، بيروت، ص64 .**

احدث قرار الولايات المتحدة تغيير النظام في العراق بالقوة العسكرية ، شرخا في المواقف على ضفتي الاطلسي . وفي العام 2004 ، استمر تشكل العلاقات الاورو – أطلسية بفعل متابعة الولايات حربها على الارهاب الدولي ، وبفعل محاولات امريكية ومحاولات الاتحاد الاوروبي لتقليص وانهاء الانقسام الذي حدث .

في العام (2004) بلغ الاتحاد الاوروبي والناتو نفوذاً أكبر ، ماتخطى حدودها الاوروبية . اذ بلغت عمليتا توسيع الاتحاد الاوروبي والناتو ذروتيهما بانضمام (10) دول الى الاتحاد الاوروبي و (7) دول الى الناتو[21].

اما في بلدان كومنولث الدول المستقلة ، فبقيت احتمالات الاندفاع في الاتحاد الاوروبي اكثر غموضاً ، واظهرت التطورات ان توحيد اوروبا كمجتمع مبادىء وقيم لم يكتمل ، وان اشاعة الديمقراطية في كثير من البلدان شرقي مجال الاتحاد الاوروبي والناتو ، ليست مقبولة عموماً ، وليست هي الشغل الشاغل لجميع القادة والنخب الوطنية .

لقد ربحت الولايات المتحدة وشركاؤها في التحالف الحرب دون عناء كبير ، لكن تثبيت الاستقرار في العراق شكل تحدياً مختلقاً . اذ اتضح ان مواصلة السيطرة على اراضي العراق ، ستتطلب قدرات مغايرة للقدرات المرتبطة بالحرب العالية الشدة ، وقوة بشرية اكبر مما اقتضته مرحلة الحرب عالية التقانة .

بدأ هدف الولايات المتحدة الرئيس في العام 2004 ، العودة الى تعدد الاطراف، فقد أعلن الرئيس بوش في تشرين الثاني 2004 بعد اعادة انتخابه ، انه يريد العمل على نحو اوثق مع اوروبا كلها . فقد كان هناك ادراك متنام في الولايات المتحدة بأن ( اوروبا الاتحاد الاوروبي) هي التي تملك الموارد ، وتساعد في اتمام الجهود الامريكية في العراق وعلى المستوى العالي[22].

اقتضت تداعيات احداث 11 أيلول 2001 ، اجراءات واسعة وتعديلات كبرى في سياقات الأمن الداخلي في الولايات المتحدة. ان هذا التوسع الدولي للامن الداخلي الامريكي، اقتضى تعاون اكبر عدد ممكن من الدول، وقد أعطت الولايات المتحدة أولوية خاصة للتعاون مع اوروبا ، وللاتحاد الاوروبي على نحو أدق. فالاتحاد الاوروبي هو الفاعل الوحيد الذي سعت الولايات المتحدة لاقامة علاقات شاملة معه في المجال الواسع للأمن الداخلي. ولقد تم اتخاذ الاجراءات الآتية بهذا الصدد:

1. وقع الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة في العام 2004 ، اتفاقاً يدعو الى توسيع عاجل للجمارك ولمبادرة أمن الحاويات ، الخاصة لحماية الحدود في انحاء المجتمع الاوروبي كافة .
2. وفرت المفوضية الاوروبية تمويلاً لتحويل بيانات سجل اسماء المسافرين بالطائرات الى وزارة الأمن الداخلي الامريكية .
3. تم التوصل الى اتفاق مبدأي لاستخدام قسمات القياس البايولوجية في جوازات سفر الاتحاد الاوروبي .

[21] بال دانواي و زدزلاتشوفسكي ، الأمن والمؤسسات الاورو – أطلسية ، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي ، الكتاب السنوي / 2005 ، ط/1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2005 ، ص 121 .

[22] المصدر نفسه، ص125.

وبعد ان مر الناتو ، بأقسى اختبار في تاريخه ، بسبب الازمة والانقسامات حول موضوع العراق ، وواجه احتمال حدوث تهميش مطرد في العلاقات عبر ضفتيه على يد عضوه الرئيس (الولايات المتحدة)، تطلع مفعماً بالأمل الى مؤتمره في قمة اسطنبول (حزيران 2004)، فقد أطلق مبادرات جديدة وواصل العمليات الجارية خارج مناطق نشاطه في افغانستان والعراق ، وفي خطة شراكة اوسع في الشرق الاوسط ، ون خلال تدخل أعمق في القوقاز وآسيا الوسطى . وكان الهدف مداواة الصدع عبر الاطلسي ، وتوسيع التزامات الناتو العالمية بحيث يمكن ان يظهر بديلاً ذا مصداقية عن تحالفات طوعية تقودها الولايات المتحدة .

ألقت عملية توسيع الناتو ضوءاً أسطع على مستقبل مجلس الشراكة الاورو – اطلسية ، وبرنامج الشراكة من اجل السلام . وفي الاشهر الاولى من العام 2004 ، عرضت الولايات المتحدة افكاراً من اجل مبادرة ( للشرق الاوسط الكبير ) خاصة بالناتو لتشجيع الاصلاح والديمقراطية في العالم العربي . وكانت المبادرة سياسية اكثر مما هي عسكرية ، رسمتها الولايات المتحدة للمساعدة في معالجة الانقسامات عبر الاطلسي بعد العراق ، ومنع التهديد الذي قد تولده الاستراتيجيات الاوروبية والامريكية للمنطقة . وأدرجت الولايات المتحدة بعض الافكار الاوروبية ، وحثت شركاءها في الناتو والاتحاد الاوروبي على دعم المبادرة . وستكون مهمات الناتو المساعدة في اعادة بناء افغانستان والعراق، ومد التعاون الى الشرق الاوسط بموجب صيغة جديدة للشراكة من اجل السلام.

وعلى الرغم من الخلافات عبر الاطلسي العميقة وذات الطبيعة العقائدية ، غير ان الولايات المتحدة ودول الاتحاد الاوروبي تعترف بان الشراكة بينهما شرط مسبق لمساهمتهما الفعالة في الاستقرار العالمي ونشر الديمقراطية ، وحظر انتشار اسلحة الدمار الشامل ، ومكافحة الارهاب العالمي .

وفي تحرك اوروبي، تعرض المشروع الامريكي تجاه الوطن العربي والمعروف بمشروع الشرق الاوسط الكبير لعدد من التحولات المهمة من حيث قالب الصياغة والمضامين الفرعية، ان لم يكن من حيث مراميه الاساسية. ولذلك وبدفع خاص من فرنسا ومعها المانيا، اخذت اوروبا بالعمل على اعادة صياغة أو قولبة المبادرة الامريكية بما يتفق مع الاتجاه العربي الرسمي،وتحت ماسمي بالمبادرة الفرنسية–الالمانية للاصلاح في الشرق الاوسط.

ووفقاً لنص المبادرة الفرنسية – الالمانية ، والتي قدمت كمشروع مقترح باسم الاتحاد الاوروبي ، فقد تم فيما يبدو تجاوز المظهر الصلب ، والجوهر الصلف للمبادرة الامريكية الاولى ، ولكن من دون تضحية بالارضية المشتركة التي يقف عليها الحلفاء (اوروبا والولايات المتحدة )[23].

وكانت المبادرة الفرنسية – الالمانية للاصلاح في الشرق الاوسط ، مدخلاً لمبادرة اخرى تبناها الاتحاد الاوروبي ككل . وأخذت هذه المبادرة عنوان : " التقرير المرحلي لعلاقة الشراكة الاستراتيجية بين الاتحاد الاوروبي ودول المتوسط والشرق الاوسط"[24].

[23] **محمد عبد الشفيع عيسى ، اختطاف اوروبا على جناحي الاطلسي ، المستقبل العربي ، العدد (319 ) ، أيلول 2005 ، ص 129 .**

[24] **نص المبادرة : صحيفة الشرق الاوسط ، لندن ، 4 نيسان 2004 .**

يهدف الاتحاد الاوروبي من مبادرته هذه ، تطوير الحوار الأمني مع المنطقة عبر طرق متعددة وذلك في اطار السياسة الاوروبية للأمن والتنمية من جهة وتبادل الآراء عبر المنابر التي تربط بين حلف شمال الاطلسي والاتحاد الاوروبي ، من جهة أخرى.

ويظل الاطار الجيو – سياسي لهذه المبادرة غامضاً جداً . ويكفي ان نشير الى الاسماء التي تستخدم بالتبادل على امتداد الوثيقة دون التفات ضروري الى تحديد المسميات: العالم العربي، منطقة الشرق الاوسط، المنطقة، منطقة المتوسط "الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، منطقة المتوسط والشرق الاوسط، دول المتوسط، دول الشرق الاوسط ، الشرق الاوسط ، الشركاء العرب .

**مستقبل العلاقة عبر الاطلسي :**

كان من نتائج سياسة القوة والغطرسة التي اتبعتها الادارات الامريكية المتلاحقة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، أن ألقت بظلالها في ماعرف بـ(معاداة الاميركية) وقد ازدادت هذه المتلازمة بشكل جزئي مع وصول المحافظين الجدد الى السلطة في اوائل هذا القرن.

ان سياسات المحافظين الجدد ، وهي التي اعتنقت الاستباق والحروب الوقائية ، ورفضت الاجماع الدولي على العديد من الترتيبات القانونية والبيئية ، قد عملت بطريقة غير معهودة على مفاقمة بعض التحفظات التي تبديها في اوروبا القارية وبريطانيا على المجتمع الامريكي . ويلاحظ ايضاً ان هذه الاراء التي كانت ذات يوم اختصاص هذه النخبة الفكرية والدوائر الاجتماعية ، اصبحت شائعة بصورة متزايدة ، اذ تشكل معظم الرأي العام في العديد من البلدان التي امتنعت عن تقديم الدعم الى الحكومات المتحالفة وغيرها والتي اتخذت في المفاصل الحاسمة موقفاً معارضاً للمبادرات الامريكية في عدد من المحافل الدولية[25].

ان النفور السلبي من الثقافة الامريكية ليس شيئاً جديداً ، ولا يمكن بالتأكيد القاء تبعيته بالكامل على المحافظين الجدد. فهو موجود منذ الايام الاولى للمستعمرات الامريكية عندما هبت رياح " الهوية الامريكية " على اوروبا القديمة الراكدة.

في تحول حاسم، اضفت نهاية الحرب الباردة ، استرخاء لدى معظم الاوروبيين الذين كانوا يعتقدون ان ازدهارهم واستقرارهم المطرد يتوقف على استمرار التزام حلف الناتو باوروبا. ففي اثناء الحرب الباردة، لقي التعبير الثقافي والخبرة الادارية والاستثمارات التي توفرها الولايات المتحدة قبولاً واسعاً، وعدت عناصر ضرورية في مستقبل اكثر اشراقاً. لذا ليس من المفاجيء ان تسارع النخب الفكرية والسياسية الى الشكوى عندما اعتقدت ان امريكا لم تف بتعهداتها.

مع ذلك، فان الحقيقة المخيفة للحرب الباردة ، والتهديد السوفياتي، كانت تشكل الاطار الذي تنظر منه اوروبا الى الولايات المتحدة. وكانت معاداة الاميركية تجد توازناً في "معاداة الاتحاد السوفياتي: و"معاداة الشيوعية"، والتهديد الوشيك الذي تشكله دول اوروبا الشرقية الدائرة في الفلك السوفياتي. وهكذا وعلى الرغم

[25] **ستيفان هالبر وجوناثان كلارك، التفرد الامريكي : المحافظون الجدد والنظام العالمي، ترجمة عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت ، 2005 ، ص 299.**

من تفاقم التدخل الامريكي في فيتنام، ومأزق فضيحة ووترغيت، وغيرها من الفضائح الكبيرة والصغيرة التي ساهمت في ارتياب اوروبا في الولايات المتحدة ودورها العالمي، فان المواقف الايجابية التي تعكس الجاذبية الهائلة للثقافة الامريكية، وأمريكا كمقصد للسياحة بين الشعوب الاوروبية هي التي سادت[26].

ان تشديد المحافظين الجدد في سنة 2000 على تحويل " اللحظة الاحادية القطب الى حقبة احادية القطب " تخضع فيها العلاقات مع الحلفاء لأولويات السياسة الامريكية ، قد نشأ في ظروف مختلفة جداً ، وبعد ان انتهى الى حد كبير الالتزام بمصير مشترك مع الولايات المتحدة . وقد شدد البعض ، بأنه وفقاً لمعظم الاراء "المعادية للأميركية" ، ليس هناك مجتمع مصالح بين جانبي الاطلسي ، لان امريكا مكان مختلف ودخيل . وعند النظر الى اوروبا بمنظار امريكي ، أيد ( روبرت كاغان ) – وهو من المحافظين الجدد – بأن القيم الامريكية والاوروبية آخذة بالتباعد ، وحذر من ثم من ان العدائية المتبادلة تهدد باضعاف كلا جانبي المجتمع عبر الاطلسي[27].

ومن بين الامثلة الكثيرة على ذلك ، الاختلافات الخطيرة في فهم وظيفة القانون الدولي ، وانطلاقاً من رؤية ضيقة جداً للسيادة ، لاينظر المحافظون الجدد الى ان هذا القانون وسيلة لتقنين الممارسات الامريكية الفضلى على مقياس عالمي ، وانما في سياق سعي البلدان الاخرى الى تقييد الولايات المتحدة .

وفي حالة بريطانيا ، ينظر الى المواقف تجاه الولايات المتحدة من خلال عدسة " العلاقات الخاصة " . ويصف المحافظون الجدد ، بريطانيا ، بانها الحليف الرئيس الذي لايستغنى عنه ابداً . ولا يتحدث الزعماء البريطانيون سوى بكلمات حارة من الولايات المتحدة . لكن تتوارى تحت هذا السطح الهادىء حقيقة لا تبحث كثيراً على الارتياح ، وهي ان بريطانيا اصبحت تابعاً وذيلاً للولايات المتحدة .

لقد حافظت الولايات المتحدة – لمدة خمسين عاماً على الاقل – على مجموعة من القيم المشتركة والعلاقات المتميزة مع اوروبا . وفي نوبة غضب واستياء للكرامة الجريحة ، عقّد النهج الاحادي للمحافظين الجدد المساعي لمواصلة تلك الحقبة الطويلة والناجحة .

**الخاتمة :**

تكمن قمة الخلاف بين ضفتي الاطلسي ، في اللجوء الى القوة في عالم اليوم . فاوروبا تريد نظاماً عالمياً متعدد الاقطاب يسوده القانون الدولي وعمل المنظمات الدولية ، بينما الولايات المتحدة تريد نظاماً تسيطر عليه ، وتحدد قواعده وحدها ، فتمنع فيه أية مقاومة لهيمنتها ، وتضع نفسها فوق القانون الدولي الذي تصفه بانه قيد على حركتها .

فالولايات المتحدة ، تشعر بانها هي التي قادت العالم الغربي الى النصر في الحرب الباردة ، وبعد ان تمسكت بجدارة باضلاع مثلث القوة العالمية العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية وأضحت في موقع القطب

[26] **المصدر نفسه ، ص ص 301 – 302 .**

[27] **Robert Kagan of Paradise and Europe in the New world order, Knopg, New York 2003, p.3.**

الاعظم المنفرد في الساحة الدولية ، وبعد أن بلغت شأوا كبير في طريقها نحو الهيمنة ، يصعب عليها ان تكون في وضع متكافىء مع اوروبا .

فالولايات المتحدة تشعر بالتبرم والضيق والغيظ حيال حلفاء لها في اوروبا ، تصوروا انتهاء الحرب الباردة انتصاراً لهم ، دون ان ينتبهوا بالقدر الكافي لنوازع الولايات المتحدة في تلك اللحظة الفارقة . فهم لم يدركوا حقيقة انهم يحتفلون بنصر لم يصنعوه ، ولم يتحملوا تكاليفه ، بل انهم على العكس استفادوا على الحساب، اذ ان الولايات المتحدة هي التي وفرت لهم طول الوقت عمليات انقاذ متوالية بدءاً من مشروع مارشاله الذي اسعفهم فور انتهاء الحرب الثانية ، وحتى ضبط اسعار نفط رخيص ظل متاحا حتى حرب اكتوبر 1973.

لقد عاش الاوروبيون زمن الحرب الباردة في أمان وفرته لهم مظلة نووية امريكية تولت حمايتهم دون ان تكلفهم شيئاً ، كما كفلت لهم ان يتوفروا على صنع الثروة ، وتجديد وسائل الانتاج وتطويرها... وكان معظم الضيق موجهاً الى فرنسا والمانيا، أما بريطانيا فقد نجت من اللوم لانها الحقت نفسها مبكراً جداً بالولايات المتحدة.

هذا التصور الامريكي المرهون بالاستعلاء والاملاءات ، الذي قاد الولايات المتحدة بعيداً تحت قيادة المحافظين الجدد ، وأحدث شرخاً في العلاقات مع اوروبا الغربية ، نتيجة اندفاع الولايات المتحدة في حرب العراق / 2003 ، لم يستمر طويلاً بسبب تداعيات حرب العراق المرة على الولايات المتحدة ، والتي عادت الى حلفائها الاوروبيين طالبة العون والمساعدة .

لم يتم تسوية الخلافات بين جانبي الاطلسي، ولكن جرى تهدئتها على وفق مساومات وتنازلات ، طبقاً للمصالح الخاصة بكل طرف . وهذا ما تجلى في مسألة رفع الحصار عن العراق الذي طالبت به الولايات المتحدة ، اذ أصرت فرنسا والاتحاد الاوروبي على دور محوري للأمم المتحدة في اعادة اعمار العراق ، وضرورة ادخالها من جديد في الأزمة العراقية للقيام بدور في مرحلة مابعد الحرب .

ان اوروبا لاتستطيع ان تخرج من الاطلسية ، طالما كانت الائتلافات السياسية الحاكمة متمركزة حول الرأسمال العالمي المسيطر ، وبذلك سوف يستمر التحالف عبر الاطلسي ضامنة مصالح الجميع .

ومن الثابت الآن ، انه ليس لاوروبا اية وسائل في منافسة الولايات المتحدة ، والانطلاق في سباق جامح للتفوق العسكري . فقد قبلت اوروبا بالدور المهيمن للولايات المتحدة ، شرط تلبية المصالح الاوروبية والمحافظة عليها .

ومن ناحية اخرى ، يمكن القول ، انه كلما بلغ التنافس والصراع مستوى معيناً ، تقاطعت عنده المصالح بين القوى الفاعلة ، كما ان ذلك يؤدي الى بروز محاور واستقطابات جديدة مناهضة للقوة المهيمنة .

## *U.S. _ European relations and the alliances through the Atlantic*

***Instructor:***
***Talib Hussein Hafedh***

## *Abstract*

The struggle between the two shores of the Atlantic lies in resorting towards force in the world today. As Europe wants an international multipolar system controlled by the international law and the work of organizations, U.S.A wants to control the international system by setting the rules, preventing any resistance to its domination, and putting itself above international law, which it describes as restrictive to its policy.

As The United States feels that it led the Western world to victory in the Cold War, and after it seized the triangle sides of the international power which are: the military, economic, and the technological sides, it has become the only greatest Pole in the international arena. Therefore it is so hard for it to be equivalent with Europe.

Europeans lived during the Cold War in safety provided by U.S. nuclear umbrella that assumed their protection without any cost. Also, it helped Europe to renew and develop the means of production. It is important to mention that most of U.S.A's stress was directed to France and Germany, while Britain has saved itself early and allied with the United States.

Europe cannot be out of the Atlantic as long as the ruling political coalitions centered on controlling global capitalism, and thus it will continue the trans-Atlantic alliance to guarantee everyone's interests.

Now, there is a well- known fact that Europe has no means to compete with the United States and start racing for military superiority, as Europe has accepted

the dominant role of the United States, conversely the U.S. has to maintain European interests there. On the other hand, it can be said that whenever the competition and the conflict reached, the interests would be intersected between the actors, as it would lead to the emergence of new polarizations against the dominant force.